حُسن الفهم وأثره في خطاب الاعتدال

دراسة موضوعية في كتاب العلم من صحيح البخاري

م.د. عبد القادر محمد حسين

جامعة الفلوجة

كلية العلوم الإسلامية

dr.abdulqader.m@uofallujah.edu.iq

ISSN: 2071-6028

البحث رقم ٣٠
ISSN: 2071-6028

حسن الفهم وأثره في خطاب الاعتدال
دراسة موضوعية في كتاب العلم من صحيح البخاري

م.د. عبد القادر محمد حسين
جامعة الفلوجة/ كلية العلوم الإسلامية

ملخص باللغة العربية

ينطلق هذا البحث من ضرورة حسن فهم النص وكيفية التعامل معه، والمطّلع على حوادث التاريخ يجد التباين واضحًا في فهم كثير من النصوص بحسب حال المتلقي وخلفيته الفكرية والثقافية ومن هنا جاء هذا البحث ليقف على المقاربات العلمية التي تؤصل لضوابط فهم النصوص وتحصن العقل من الانحراف والانزلاق في مسالك التطرف والغلو واتباع الهوى، التي لها الأثر السلبي الكبير في الخطاب الفكري والديني ولاسيما في مجتمع متعدد الثقافات، لذا كان الضابط في إنزال أحكام النصوص هو حسن فهمها بحسب السياق المراد فيه، فالبحث محاولة في استخراج ضوابط حسن فهم النص الشرعي –الحديث النبوي أنموذجًا– عن طريق دراسة الوسائل النبوية في بناء الفهم السليم وأثر ذلك في اعتدال الخطاب الديني، فكان عنوان البحث: **(حسن الفهم وأثره في خطاب الاعتدال دراسة موضوعية في كتاب العلم من صحيح البخاري)**، وهو معالجة لإشكالية " ظاهرة سوء فهم النصوص الشرعية" لدى كثير من طوائف المسلمين بما أثر سلبًا على الخطاب الإسلامي وأفقده صبغة الاعتدال الذي هو من خصائص أمة الإسلام. **هدف البحث:** يهدف البحث إلى إبراز الوسائل النبوية في بناء الفهم السليم، والبعد عن الغلو في الخطاب والتعرف على المبادئ العامة في فهم النص النبوي. **منهجية البحث:** اتبع الباحث المنهج الاستقرائي في جمع المادة، والمنهج الاستنباطي في تحليل المعلومات، والمنهج الوصفي في عرض المادة، وكانت عينة البحث من "كتاب العلم" من صحيح البخاري. **نتائج البحث:** خلص إلى عظم منزلة الفهم في العلم وأهميته في التعامل مع النصوص، وأن لحسن فهم النصوص الشرعية أثرًا كبيرًا في اعتدال الخطاب الإسلامي الذي يعد من أهم ركائز السلم المجتمعي، وثبت استعمال النبي ﷺ وسائل عديدة (١١وسيلة) في بناء قواعد فهم النصوص، كما أن من أهم بواعث الانحراف في الخطاب الديني سوء فهم النص، الذي يقود إلى سوء التطبيق والغفلة عن مقاصد التشريع الإسلامي. ويوصي البحث بضرورة حث طلبة العلم الشرعي والباحثين على الاهتمام بالفهم في العلم والحرص على التفكير العميق في التعامل مع النصوص، والعناية بالدراسات التحليلية ووضع منهجية واضحة للتعامل مع نصوص السنة.

الكلمات المفتاحية: فهم ، دراسة ، موضوعية

The best understanding and its impact in the letter of moderation

Dr. Abdul-Qader Muhammad Hussain

Abstract: This research is based on an important intellectual thought on which the rules are based. It is the good understanding of the text and how to deal with it. It is clear that there is a difference in the understanding of many texts according to the receiver's condition and its intellectual and cultural background. The rules of understanding of the texts and fortifying the mind from deviation and slipping in the ways of extremism and fanaticism, which have a significant negative impact on intellectual and religious discourse, especially in a multicultural society, so the rule in provision of the texts is the better understanding according to the context in which it does not lead to misunderstandings. I try to study the prophetic means in building the correct understanding, and the impact of this on the moderate religious discourse, in an objective study for Imam Al-Bukhari in his Sahih (Book of Science), The title of the research is: (**Good understanding and its impact on the moderate discourse in an objective study in the book of science from Sahih Al-Bukhari**). Some of the research results are the following: For the good understanding of the texts of Islamic Law a significant impact on the moderation of the Islamic discourse, which is one of the most important pillars of community peace. 1. The Prophet (peace and blessings of Allah be upon him) used various means and methods to teach his companions, God's mercy on them, and served as basic rules for understanding the Islamic texts. 2. Islamic discourse is the container expressing Islam in its doctrine, philosophy and holistic view of life, if it was according to its rules and principles. 3. One of the most important motives of deviation in religious discourse is the misunderstanding of the Islamic texts, which leads to the mismanagement inevitably, and disregard for the purposes of Islamic legislation and the aims of moderate discourse.

Keywords: Understanding, Study, Objectivity

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه. وبعد..

ينطلق هذا البحث من أسٍّ فكري مهم تبنى عليه الأحكام وتوضع به القواعد ألا وهو حسن فهم النص وكيفية التعامل معه، والمطّلع على حوادث التاريخ يجد التباين واضحًا في فهم كثير من النصوص بحسب حال المتلقي وخلفيته الفكرية والثقافية ومن هنا جاء هذا البحث ليقف على المقاربات العلمية التي تؤصل لضوابط فهم النصوص وتحصن العقل من الانحراف والانزلاق في مسالك التطرف والغلو واتباع الهوى، التي لها الأثر السلبي الكبير في الخطاب الفكري والديني ولاسيما في مجتمع متعدد الثقافات، لذا كان الضابط في إنزال أحكام النصوص هو حسن فهمها بحسب السياق المراد فيه وألا تنزل في غير المنزل الملائم لها فأردت في بحثي هذا استخراج ضوابط حسن فهم النص الشرعي –الحديث النبوي أنموذجًا– من خلال دراسة الوسائل النبوية في بناء الفهم السليم وأثر ذلك في اعتدال الخطاب الديني، في دراسة موضوعية في ما دوّنه الإمام البخاري في صحيحه (كتاب العلم)، فكان عنوان البحث هو: **(حسن الفهم وأثره في خطاب الاعتدال دراسة موضوعية في كتاب العلم من صحيح البخاري)**.

إشكالية البحث: ظاهرة سوء فهم النصوص الشرعية لدى كثير من طوائف المسلمين بما أثر سلبًا على الخطاب الإسلامي أفقده صبغة الاعتدال التي هي من خصائص أمة الإسلام.

هدف البحث: يهدف البحث إلى إظهار الوسائل النبوية في بناء الفهم السليم والابتعاد عن الغلو في الخطاب الإسلامي والتعرف على المبادئ العامة في فهم النص النبوي.

منهجية البحث: اتبعت المنهج الاستقرائي التحليلي في مناقشة إشكالية البحث وإثبات نتائجه.

خطة البحث: اقتضت خطة البحث أن أقسمه على مقدمة وتمهيد ومطلبين وخاتمة: المطلب الأول: (الوسائل النبوية في بناء الفهم السليم)، والمطلب الثاني: (أثر الفهم في اعتدال الخطاب)، ثم كانت الخاتمة، وقد اعتمدت على مصادر ومراجع مهمة أفدت منها في دراسة الموضوع ومناقشة محاوره.

مدخل تعريفي

أولاً: تعريف الفهم لغة واصطلاحًا:

الفهم لغة: (مَعْرِفَتُكَ الشَّيْءَ بِالْقَلْبِ. فَهِمَه فَهْماً وفَهَماً وفَهامة: عَلِمَه؛ وفَهِمْت الشَّيْءَ: عَقَلْتُه وعرَفْته. وتَفَهَّم الْكَلَامَ: فَهِمه شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ. وَرَجُلٌ فَهِمٌ: سَرِيعُ الفَهْم)[١].

الفهم اصطلاحًا:

الفهم هو: (تصور المعنى من لفظ المخاطب)[٢]. والفقه هو الفهم، يقول الآمدي (ت٦٣١هـ): (أَمَّا الْفِقْهُ: فَفِي اللُّغَةِ عِبَارَةٌ عَنِ الْفَهْمِ، ومنه قوله تعالى: ﴿مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ﴾، أَيْ لَا نَفْهَمُ، وقوله تعالى: ﴿وَلَكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾، أَيْ لَا تَفْهَمُونَ، وَتَقُولُ الْعَرَبُ: فَقِهْتُ كَلَامَكَ، أَيْ فَهِمْتُهُ)[٣]. وعرَّف الحافظ ابن حجر (ت٨٥٢هـ) الفهم بأنه: (فطنة يفهم بها صاحبها من الكلام ما يقترن به من قول أو فعل)[٤].

الفرق بين العلم والفهم:

يفرق العلماء بين العلم والفهم كما قال الآمدي (ت٦٣١هـ): (والأشبه أن الفهم مغاير للعلم؛ إذ الفهم عبارة عن جودة الذهن من جهة تهيئته لاقتناص كل ما يرد عليه من المطالب، وإن لم يكن المتصف به عالما كالعامي الفطن، وقيل: الفهم: تصور المعنى من اللفظ، أما العلم فهو مطلق الإدراك)[٥].

أهمية الفهم في العلم:

من الأمور التي دائمًا ما يدعو إليها القرآن الكريم ويحث عليها هي الفهم؛ ويختم الكثير من آياته بالدعوة إلى التدبر، والتفكر، والعقل، والعلم، فيقول عز من قائل: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾، و﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾، و﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾، أي أَفَلا يَتَفَكَّرُون فيَعتبِروا، والتدبر: (هُوَ التَّفَكُّر والتَّفَهُّم)[٦].

والفهم شرط في العلم فمن لا فهم له لا علم له، قال ابن بطال (ت ٤٤٩هـ) مقررًا هذا الأصل: (التفهم للعلم هو التفقه فيه، ولا يتم العلم إلا بالفهم، وكذلك قال علي: والله ما عندنا إلا كتاب الله، أو فهم أُعطيه رجل مؤمن. فجعل الفهم درجة أخرى بعد حفظ كتاب الله، لأن بالفهم له تبين معانيه وأحكامه. وقد نفى ﷺ العلم عمن لا فهم له بقوله: رب حامل فقهٍ لا فقه له)[٧].

---

(١) لسان العرب: ٤٥٩/١٢)، وينظر: مقاييس اللغة: ٤٥٧/٤.
(٢) التعريفات: ص١٦٩.
(٣) الإحكام في أصول الأحكام للآمدي: ٦/١.
(٤) فتح الباري: ١٦٥/١.
(٥) الإحكام للآمدي: ٦/١، وتاج العروس: ٢٢٤/٣٣.
(٦) تاج العروس: ٢٦٦/١١.
(٧) شرح صحيح البخارى لابن بطال: ١٥٧/١.

ولذلك يرى ابن القيم (ت٧٥١) أن الفهم نعمة من الله تعالى بل هو نور يقذفه الله في قلب العبد فقال رحمه الله تعالى شارحًا هذا المعنى: (صحة الفهم وحسن القصد من أعظم نعم الله التي أنعم بها على عبده، بل ما أعطي عبد عطاء بعد الإسلام أفضل ولا أجل منهما، بل هما ساقا الإسلام، وقيامه عليهما...، وصحة الفهم نور يقذفه الله في قلب العبد، يميز به بين الصحيح والفاسد، والحق والباطل، والهدى والضلال، والغي والرشاد، ويمده حسن القصد، وتحري الحق، وتقوى الرب في السر والعلانية، ويقطع مادته اتباع الهوى، وإيثار الدنيا، وطلب محمدة الخلق، وترك التقوى)[١].

ثم عدَّد مراتب العلم ذاكرًا منزلة حسن الفهم: (ومن الناس من يحرمه لسوء إنصاته فيكون الكلام والممارات آثر عنده وأحب اليه من الإنصات، وهذه آفة كامنة في أكثر النفوس الطالبة للعلم، وهي تمنعهم علمًا كثيرًا ولو كان حسن الفهم، ذكر ابن عبد البر عن بعض السلف أنه قال: من كان حسن الفهم رديء الاستماع لم يقم خيره بشره)[٢].

وبعد بيان معاني هذه المصطلحات (الفهم والفقه والعلم) يمكننا أن ندلج إلى الوسائل النبوية في بناء الفهم، والأساليب التي كان يتبعها في تعليم صحابته ﷺ، وهو يضع منهجًا علميًا دقيقًا في ترتيب الأفهام وهداية العقول.

المطلب الأول: أثر السنة النبوية في بناء الفهم السليم

استعمل النبي ﷺ وسائل عديدة وطرائق مختلفة في تعليم أصحابه ﷺ، وبناء المنظومة الفكرية وأسباب الوعي السليم لديهم، وكان يقدم لهم الدروس العملية في ذلك، فأسس قواعد وأصولًا لبناء الفهم السليم البعيد عن سوء الفهم الذي يؤدي إلى الضلال والانحراف والغلو والتطرف، وقد جمع الإمام البخاري في كتابه "الصحيح" جملة من هذه الأحاديث المشتملة لهذه القواعد وضمّنها "كتاب العلم"، وقد عملت على استنباط بعض هذه القواعد والمفاهيم النبوية في التأسيس للفهم السليم المؤدي للسلم المجتمعي، وسأذكر بعضًا منها على سبيل التمثيل:

أولاً: الفهم في العلم:

بوب الإمام البخاري بابًا مستقلاً وسماه (باب الفهم في العلم)، وهذا تأكيد منه على أهمية الفهم وأثره في التعامل مع أحاديث النبي ﷺ، وقد قرن العلم به ونفى العلم عمن لا فهم له: قال ابن بطال (ت ٤٤٩هـ): (التفهم للعلم هو التفقه فيه، ولا يتم العلم إلا بالفهم.. وقد نفى ﷺ العلم عمن لا فهم له بقوله: (رب حامل فقهٍ لا فقه له)[٣].

(١) إعلام الموقعين: ٦٩/١.
(٢) مفتاح دار السعادة: ١٦٩/١.
(٣) شرح صحيح البخاري لابن بطال: ١٥٧/١.

وساق البخاري في هذا الباب حديث ابن عمر ﷺ قال: (كنا عند النبي ﷺ فأتي بجمار، فقال: (إن من الشجرة شجرة، مثلها كمثل المسلم). فأردت أن أقول: هي النخلة، فإذا أنا أصغر القوم، فسكت، فقال النبي ﷺ: (هي النخلة).

وهنا استنبط ابن عمر من قرينة الجمّار الذي أهدي إلى النبي ﷺ أن الشجرة المسؤول عنها هي النخلة، لأنّ النبي ﷺ إنما طرح هذا السؤال بعد إهدائه الجمّار الذي هو رأس النخلة، فدلّ على أنها هي[١].

قال ابن حجر (ت٨٥٢هـ): (وفيه التحريض على الفهم في العلم وقد بوب عليه المؤلف باب الفهم في العلم وفيه استحباب الحياء ما لم يؤد إلى تفويت مصلحة ولهذا تمنى عمر أن يكون ابنه لم يسكت)[٢].

ثانيًا: الحث على الوعي وتبليغ العلم:

من الوسائل التي أكد عليها النبي ﷺ في بناء الفهم السليم الحث على الوعي، والوعي هو: (حِفْظ القلبِ الشيءَ، وعَى الشَّيْءَ وَالْحَدِيثَ يَعِيه وَعْياً وأَوْعاه: حَفِظَه وفَهِمَه وقَبِلَه، فَهُوَ واعٍ، وَفُلَانٌ أَوْعَى مِنْ فُلَانٍ أَي أَحْفَظُ وأَفْهَمُ)[٣].

وقد أخرج البخاري (عن عبد الرحمن بن أبي بكرة، عن أبيه: ذكر النبي ﷺ قعد على بعيره، وأمسك إنسان بخطامه –أو بزمامه– قال: أي يوم هذا. فسكتنا حتى ظننا أنه سيسميه سوى اسمه، قال: (أليس يوم النحر). قلنا: بلى، قال: (فأي شهر هذا). فسكتنا حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، فقال: (أليس بذي الحجة). قلنا: بلى، قال: (فإن دماءكم، وأموالكم، وأعراضكم، بينكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، ليبلغ الشاهد الغائب، فإن الشاهد عسى أن يبلغ من هو أوعى له منه)[٤].

هنا يؤكد النبي ﷺ على الوعي وأهمية التبليغ المقرون بالفهم وهذه من الوسائل النبوية في تعليمه لصحابته ﷺ؛ لذلك هو يحثهم على وعي كلامه ومن ثم تبليغه للآخرين، ولأن الأفهام تتفاوت والأذهان تتباين قال ﷺ: (رُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ)[٥].

ومن الوسائل النبوية التعليمية في هذا الحديث أنه يحفز أذهانهم ليقبلوا على كلامه بعقولهم وأفهامهم، قال القرطبي (ت٦٧١هـ): (سؤاله ﷺ عن الثلاثة وسكوته بعد كل سؤال منها كان لاستحضار فهومهم وليقبلوا عليه بكليتهم وليستشعروا عظمة ما يخبرهم عنه)[٦].

---

(١) ينظر: إرشاد الساري: ١٧١/١، ومنار القاري شرح مختصر صحيح البخاري: ١٧٤/١.
(٢) فتح الباري: ١٤٦/١.
(٣) لسان العرب: ٣٩٦/١٥، وينظر: مقاييس اللغة: ١٢٤/٦.
(٤) صحيح البخاري: كتاب العلم: باب قول النبي ﷺ (رب مبلغ أوعى من سامع).
(٥) فتح الباري لابن حجر: ١٥٩/١.
(٦) فتح الباري لابن حجر: ١٥٩/١، وينظر: الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري: ١٥٩/١.

إن هذا الوعي يجب أنْ يكون إحدى ركائز الحوار المجتمعي القائم على الفهم السليم للنص الديني، فمن غير الفهم والوعي يسود الجهل وتضطرب الآراء، وتتداعى العصبيات ويقع الخلاف المهدد للسلم الاجتماعي، ومن هنا تأتي أهمية الفهم في العلم والوعي المؤسس للحوار البنّاء عند تعدد الآراء واختلافها.

ثالثًا: دُعاؤه لأصحابه بالفَهم:

الدعاء بالفهم هو أحد الوسائل النبوية في تحصيل الفهم وهو يشمل دعاء العالم للمتعلِّم بالفهم والفقه، وأيضًا دعاء طالب العلم لنفسه بذلك، أما دعاء العالم للمتعلم فما أخرجه البخاري عن ابن عباس ﷺ قال: (ضمني رسول الله ﷺ وقال: (اللهم علِّمه الكتاب)[١].

قال ابن حجر (ت٨٥٢هـ): (وقد أخرج أحمد من طريق عمرو بن دينار عن كريب عن ابن عباس في قيامه خلف النبي ﷺ في صلاة الليل، وفيه: فقال لي: (ما بالك أجعلك حذائي فتخلفني) فقلت: أو ينبغي لأحد أن يصلي حذاءك وأنت رسول الله! فدعا لي أن يزيدني الله فهمًا وعلمًا)، والمراد بالكتاب: القرآن؛ لأن العرف الشرعي عليه، والمراد بالتعليم: ما هو أعمّ من حفظه والتفهم فيه)[٢].

وأما دعاء طالب العلم لنفسه فقد قال الإمام مالك (ت١٧٩هـ): (فمن أراد التفهم فليحضر خاطره، وبفرغ ذهنه، وينظر إلى نشاط الكلام، ومخرج الخطاب، ويتدبر اتصاله بما قبله، وانفصاله منه، ثم يسأل ربه أن يلهمه إلى إصابة المعنى)[٣].

رابعًا: ضرب الأمثال:

يعد ضرب المثال من الوسائل التعليمية الحديثة لما للمثل من أثر بالغ في إيصال المعنى إلى عقل المتلقي؛ ذلك أنه يقدم المعنوي في صورة حسية فيربطه بالواقع ويقربه إلى الذهن[٤]؛ لذا استخدم النبي ﷺ هذه الوسيلة بضرب الأمثلة التصويرية لتقريب الفكرة وتوضيحها بالمثال الحسي الملموس والمشاهد، ومن ذلك ما أخرجه البخاري عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال: (مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم، كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا، فكان منها نقية، قبلت الماء، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب، أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس، فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصابت منها طائفة أخرى، إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت

---

(١) صحيح البخاري: كتاب العلم: باب: قول النبي ﷺ: (اللهم علمه الكتاب).

(٢) فتح الباري: ١٧٠/١، وينظر: مسند الإمام أحمد: ١٧٨/٥، ولفظه: (قَالَ لِي: مَا شَأْنِي أَجْعَلُكَ حِذَائِي فَتَخْنِسُ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوَيَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يُصَلِّيَ حِذَاءَكَ وَأَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ الَّذِي أَعْطَاكَ اللَّهُ قَالَ فَأَعْجَبْتُهُ فَدَعَا اللَّهَ لِي أَنْ يَزِيدَنِي عِلْمًا وَفَهْمًا).

(٣) شرح صحيح البخاري لابن بطال: ١٥٧/١.

(٤) ينظر: فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري: ٣٩٩/٢.

كلاً، فذلك مثل من فقه في دين الله، ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسًا، ولم يقبل هدي الله الذي أرسلت به)[١].

قال ابن القيم في فائدة ضرب الأمثال: (فهذه وأمثالها من الأمثال التي ضربها رسول الله ﷺ لتقريب المراد، وتفهيم المعنى، وإيصاله إلى ذهن السامع، وإحضاره في نفسه بصورة المثال الذي مثل به، فإنه قد يكون أقرب إلى تعقله وفهمه وضبطه واستحضاره له باستحضار نظيره؛ فإن النفس تأنس بالنظائر والأشباه الأنس التام، وتنفر من الغربة والوحدة وعدم النظير؛ ففي الأمثال من تأنيس النفس وسرعة قبولها وانقيادها لما ضرب لها مثله من الحق أمر لا يجحده أحد، ولا ينكره، وكلما ظهرت لها الأمثال ازداد المعنى ظهورا ووضوحًا، فالأمثال شواهد المعنى المراد، ومزكية له)[٢].

خامسًا: التمهيد للفهم:

من الوسائل التربوية المهمة كذلك أن يقدم المعلم والواعظ مقدمة تمهيدية لما يريد توجيهه للمتلقي كأن يبادره بالسؤال والاستفهام ليلفت انتباهه ويشدَّه للاستماع والإقبال عليه وهو ما يخلق نوعًا من الإثارة والتشويق، والرسول ﷺ أفضل من استخدم مثل هذه الوسيلة ومن ذلك ما رواه ابن عباس ﷺ في قصة وفد عبد القيس فقال: (هل تدرون ما الإيمان بالله وحده؟)، قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: (شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وتعطوا الخمس من المغنم)[٣].

سادسًا: التشجيع على السؤال:

من وسائل التعليم الناجحة هي تشجيع المتعلم على إثارة الأسئلة والاستفهام وتنمية هذه الرغبة بالتعلم وحسن الفهم بوساطة التشجيع على السؤال، وكسر الحواجز النفسية لدى المتعلم أو المتلقي كالحياء أو الخوف من طرح الأسئلة، وهو ما ينعكس سلبًا على حسن الفهم لمقاصد الكلام ودلالات معانيه، وهي المنهجية التي اتبعها النبي ﷺ مع أصحابه الكرم في تشجيعهم على السؤال وحثهم على الفهم، ومن ذلك ما جاء عن أبي هريرة ﷺ أنه سأل النبي ﷺ فقال: (يا رسول الله، من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال رسول الله ﷺ: (لقد ظننت –يا أبا هريرة– أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك، لما رأيت من حرصك على الحديث، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة، من قال: لا إله إلا الله، خالصًا من قلبه، أو نفسه)[٤].

---

(١) صحيح البخاري: كتاب العلم: باب: فضل من علم وعلم.

(٢) إعلام الموقعين: ١/١٨٢-١٨٣.

(٣) صحيح البخاري: كتاب العلم: باب: تحريض النبي ﷺ وفد عبد القيس على أن يحفظوا الإيمان والعلم، ويخبروا من وراءهم.

(٤) صحيح البخاري: كتاب العلم: باب: الحرص على الحديث.

هنا أظهر النبي ﷺ رضاه عن سؤال أبي هريرة ﷺ، واستحسانه له، وعن حسن فهم أبي هريرة ومزيد حرصه، وهو ما ترك أثرًا إيجابيًا في نفس أبي هريرة بتشجيعه على إظهار المزيد من الحرص على طلب العلم والفهم، ولذلك قال ابن بطال: (ت٤٤٩هـ) في بيان فوائد هذا الحديث: (فيه: أن للعالم أن يتفرس في متعلميه، فيظن في كل واحد مقدار تقدمه في فهمه، وأن ينبهه على تفرسه فيه، ويعرفه ذلك، ليبعثه على الاجتهاد في العلم والحرص عليه...، إلى أن يسأل عن غامض المسائل، ودقيق المعاني، لأن المسائل الظاهرة إلى الناس كافة يستوى الناس في السؤال عنها، لاعتراضها في أفكارهم، وما غمض من المسائل، ولطف من المعاني، لا يسئل عنها إلا راسخ بَحَّاث، يبعَثُه على ذلك الحرص)[١].

ولا شك أن هذا لون رائع من ألوان التعليم يثير في النفس الرغبة في السؤال ويدفعها بقوة إلى التطلع للمعرفة والفهم واستشراف الجواب ومن ثم استيعابه وحفظه، لما فيه من طرافة وغرابة[٢]، فضلاً عن أن هذا الأسلوب في التعليم يسهم في خلق جوٍ من حرية الحوار المجتمعي المفضي إلى التفاهم المعزز لأسباب السلم الاجتماعي.

سابعًا: لفت الانتباه:

يلجأ النبي ﷺ إلى وسائل التأثير السمعي أو البصري في المتلقي أو المتعلم حتى يحدث عنده نوعًا من (الصدمة) التي تؤدي إلى زيادة التنبيه والإثارة ولفت الانتباه إلى أهمية المسألة المراد بيانها أو التحذير منها فيظهر نوعًا من المبالغة في ردة الفعل تجاه سؤال السائل لتكون مدعاة للفهم أكثر، ومن ذلك ما أخرجه البخاري وبوّب له: (باب: الغضب في الموعظة والتعليم، إذا رأى ما يكره) عن أبي مسعود الأنصاري قال: (قال رجل: يا رسول الله، لا أكاد أدرك الصلاة مما يطول بنا فلان، فما رأيت النبي ﷺ في موعظة أشد غضبًا من يومئذ، فقال: (أيها الناس، إنكم منفرون، فمن صلى بالناس فليخفف، فإن فيهم المريض والضعيف وذا الحاجة)[٣].

ومنه أيضًا ما رواه عن زيد بن خالد الجهني: (أن النبي ﷺ سأله رجل عن اللقطة، فقال: (اعرف وكاءها، أو قال وعاءها، وعفاصها، ثم عرفها سنة، ثم استمتع بها، فإن جاء ربها فأدها إليه). قال: فضالة الإبل؟ **فغضب حتى احمرت وجنتاه، أو قال احمر وجهه**، فقال: (وما لك ولها، معها سقاءها وحذاؤها، ترد الماء وترعى الشجر، فذرها حتى يلقاها ربها).

قال الحافظ ابن حجر: (الواعظ من شأنه أن يكون في صورة الغضبان لأن مقامه يقتضي تكلف الانزعاج لأنه في صورة المنذر وكذا المعلم إذا أنكر على من يتعلم منه سوء فهم

---

(١) شرح صحيح البخاري: ١٧٦/١.

(٢) ينظر: الوسائط التعليمية في الأحاديث النبوية، مقال: سعيد رفعت راجح، موقع الألوكة.

(٣) ينظر: كتاب العلم: باب الغضب في الموعظة والتعليم.

ونحوه؛ لأنه قد يكون أدعى للقبول منه وليس ذلك لازمًا في حق كل أحد بل يختلف باختلاف أحوال المتعلمين)[١].

وما أخرجه البخاري كذلك عن أبي موسى قال: (سئل النبي ﷺ عن أشياء كرهها، فلما أكثر عليه غضب، ثم قال للناس: (سلوني عما شئتم). قال رجل: من أبي؟ قال: (أبوك حذافة). فقام آخر فقال: من أبي يا رسول الله؟ فقال: (أبوك سالم مولى شيبة). فلما رأى عمر ما في وجهه قال: يا رسول الله، إنا نتوب إلى الله عز وجل)[٢].

ولعل الإمام النووي (ت٦٧٦هـ) استنبط من ذلك ما ذكر أنه مستحب للخطيب فقال: (يستحب للخطيب أن يفخم أمر الخطبة ويرفع صوته ويجزل كلامه ويكون مطابقًا للفصل الذي يتكلم فيه من ترغيب أو ترهيب ولعل اشتداد غضبه كان عند إنذاره أمرًا عظيمًا وتحديده خطبًا جسيمًا)[٣].

إذن هذه الوسيلة النبوية في لفت انتباه المتلقي وتهيئ ذهنه لاستقبال التوجيه واستلام الرسائل الإيجابية، وهو أسلوب ناجع للقادة والمؤثرين في المجتمع في شد انتباه الجمهور والتأثير فيهم وتوظيفها في تحقيق الوئام عند حدوث الأزمات الاجتماعية والتعالي على الخلافات بما يحقق السلم المجتمعي ويرسي قواعد المواطنة الصالحة.

ثامنًا: تكرار الحديث:

وهو من الوسائل التربوية والتعليمية الهامة التي اتبعها النبي ﷺ وهي من الوسائل المعينة على الحفظ والفهم والاستيعاب، وقد أدرك الرسول ﷺ قيمة هذه الوسيلة فحرص على استخدامها: عن أنس ﷺ، عن النبي ﷺ: (أنه كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثًا، حتى تفهم عنه)[٤]. قال ابن بطال (ت ٤٤٩هـ): (وفيه: أن الثلاث غاية ما يقع به البيان والإعذار به)[٥].

لذلك من أصول التربية التعليمية في الإسلام إعادة الجملة ثلاث مرات لكي يستوعبها الطالب فإن كان حديثًا نبويًا فمن السنة إعادته ثلاثًا، لأن الثلاثة غاية ما يقع به البيان والأعذار كما قال ابن بطال (ت ٤٤٩هـ)، وهذا ما كان يفعله ﷺ عمليًا لكي تقتدي به أمته، مع أنه ﷺ لم يكن يسرد الكلام سردًا وإنما يأتي به كلمة كلمة، فلو اقتصر على مرة واحدة لكفت، ولكن مع ذلك كان يكرر ثلاثًا ليكون أسوةً لغيره[٦].

---

(١) فتح الباري: ١٨٧/١.
(٢) كتاب العلم: باب الغضب في الموعظة والتعليم، إذا رأى ما يكره.
(٣) شرح النووي على مسلم: ١٥٦/٦.
(٤) صحيح البخاري: كتاب العلم: باب: من أعاد الحديث ثلاثا ليفهم عنه.
(٥) شرح صحيح البخاري: ١٧٣/١.
(٦) ينظر: منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري: ١٩٤/١.

تاسعًا: الحث على الكتابة:

تعد الكتابة من الوسائل المعينة على الحفظ والفهم معًا لذا حثَّ النبي ﷺ أصحابه على الكتابة في أكثر من مناسبة، ومنها ما أخرجه الإمام البخاري فيما بوّب له تحت عنوان: (باب: كتابة العلم) عن أبي هريرة ﷺ: (فجاء رجل من أهل اليمن فقال: اكتب لي يا رسول الله، فقال: (اكتبوا لأبي فلان)، وأيضًا ما رواه في الباب نفسه عن ابن عباس ﷺ قال: (لما اشتد بالنبي ﷺ وجعه قال: (ائتوني بكتاب أكتب لكم كتابًا لا تضلوا من بعده)[١].

لذلك قال العلماء: إنه لولا أهمية الكتابة وأثرها في الفهم وحفظ العلم لما أمرهم النبي ﷺ بالكتابة، فهو أدعى للفهم والعمل بما هو مكتوب[٢].

عاشرًا: مراعاة أفهام الناس

من أصول بناء الفهم السليم هو أن يراعي المعلم والمتكلم أفهام المتعلمين والمخاطبين فلا يخاطبهم بما تفتن به عقولهم أو بما يؤدي إلى سوء الفهم بل يجب مراعاة الرأي العام في المجتمع والمحافظة على السلم المجتمعي فلا يخرج عن المألوف فيه إذا كان في ضمن ما يسعه الشرع ولا يخالفه، ومن ذلك ما أخرجه البخاري في (باب: من ترك بعض الاختيار، مخافة أن يقصر فهم بعض الناس عنه، فيقعوا في أشد منه)، حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال النبي ﷺ: (يا عائشة لولا قومك حديث عهدهم –قال ابن الزبير– بكفر، لنقضت الكعبة، فجعلت لها بابين: باب يدخل الناس وباب يخرجون)[٣].

قال ابن بطال في بيان الفوائد المستنبطة من الحديث: (قال المهلب: فيه أنه قد يترك شيئًا من الأمر بالمعروف إذا خشي منه أن يكون سببًا لفتنة قوم ينكرونه ويسرعون إلى خلافه واستبشاعه)[٤].

وقد تكون مراعاة أفهام الناس في ترك إنكار منكر خشية الوقوع فيما هو أشد منكرًا منه، قال ابن حجر: (ويستفاد منه ترك المصلحة لأمن الوقوع في المفسدة ومنه ترك إنكار المنكر خشية الوقوع في أنكر منه، وأن الإمام يسوس رعيته بما فيه إصلاحهم ولو كان مفضولا ما لم

(١) ينظرك صحيح البخاري: كتاب العلم: باب: كتابة العلم.
(٢) ينظر: فتح الباري: ٢٠٨/١.
(٣) كتاب العلم في الباب المذكور.
(٤) شرح صحيح البخاري: ٢٠٥/١.

يكن محرمًا)[١].

بل يجوز للإمام أن يترك بعض الأحكام غير الواجبة مراعاة للرأي العام إذا لم يفوت مصلحة على الناس، أو لم يجرَّ إلى مفسدة أعظم، قال ابن بطال: (وفيه: أن النفوس تحب أن تساس بما تأنس إليه في دين الله من غير الفرائض، بأن يترك ويرفع عن الناس ما ينكرون منها)[٢].

وهذا المبدأ أصل مهم في أصول التخاطب مع الجماهير وإدراك المزاج الشعبي ومديات تأثير الخطاب فيهم، فلا ينبغي مخاطبتهم بما يثير فيهم العصبية أو الطائفية والعرقية وكل ما يشكل تهديدًا للسلم الاجتماعي، بل الواجب ألا تثار المسائل الخلافية أمام الرأي العام، وهذا يتوقف على درجة الوعي لمن يتصدى لمخاطبة الجمهور من قادة وخطباء وإعلاميين.

حادي عشر: التخصيص بالعلم كراهة سوء الفهم

هذه قاعدة مهمة في التعليم يؤصل لها النبي ﷺ ويجعلها منارًا للسالكين في طريق التعليم وسياسة أمر الناس والمجتمع، وهي أن يراعي المعلِّمُ مستوى فهم المخاطب أو المتلقي فيخصَّ ببعض العلم من يتوافر فيه حسن الفهم للخطاب، ولا يبذله لمن يقصر فهمه عن مدلولات الخطاب ومقاصده وبالتالي يسيئ الفهم ويقع في المحظور، ومنه ما أخرجه البخاري في (باب: من خص بالعلم قومًا دون قوم، كراهية أن لا يفهموا)، حديث أنس بن مالك ﷺ، (أن النبي ﷺ ومعاذ رديفه على الرحل، قال: (يا معاذ بن جبل). قال: لبيك يا رسول الله وسعديك، قال: (يا معاذ). قال: لبيك يا رسول الله وسعديك، ثلاثًا، قال: (ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، صدقًا من قلبه إلا حرمه الله على النار). قال: يا رسول الله، أفلا أخبر به الناس فيستبشروا؟ قال: (إذا يتكلوا). وأخبر بها معاذ عند موته تأثمًا)[٣].

وفي رواية أخرى: (أن النبي ﷺ قال لمعاذ: (من لقي الله لا يشرك به شيئا دخل الجنة). قال: ألا أبشر الناس؟ قال: (لا، إني أخاف أن يتكلوا).

---

(١) فتح الباري: ٢٢٥/١.

(٢) شرح صحيح البخاري: ٢٠٥/١، وينظر: الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري ١٥٣/٢.

(٣) ينظر الباب في كتاب العلم من صحيح البخاري.

قال ابن بطال: (قال المهلب: فيه أنه يجب أن يُخَصَّ بالعلم قوم لما فيهم من الضبط وصحة الفهم، ولا يبذل المعنى اللطيف لمن لا يستأهله من الطلبة ومن يخاف عليه الترخص والاتكال لقصير فهمه، كما فعل ﷺ[١].

لذلك على العالم ألا يضع العلم إلا عند من يستحقه ويفهمه، ومن يظن أنه يضبطه كما فعل معاذ حين حدَّث به بعد أن نهاه النبي ﷺ عن أن يخبر به خوف الاتكال[٢].

هذه هي أهم الوسائل النبوية المستنبطة من كتاب العلم من صحيح البخاري، التي تحث على الفقه والعلم والتي تسهم في بناء الفهم السليم لدى المتلقي وتؤسس لخطاب إسلامي معتدل له دوره الكبير في تعزيز التنمية المجتمعية.

وبعد أن تتحقق هذه المعاني وتترجم عمليًا في التعامل مع النص الشرعي لابد أن يتحقق أثرها في بناء خطاب معتدل وهذا ما سنبحثه في المطلب الثاني من هذا البحث.

المطلب الثاني: أثر الفهم في اعتدال الخطاب

مرَّ بنا تعريف الفهم والعلم، ومن أجل فهم العلاقة بين حسن الفهم والخطاب الديني ومعرفة كنه هذه العلاقة لابد من تعريف الخطاب (الإسلامي) أولاً ثم بيان أهمية العلاقة الوثيقة بينهما وكما يأتي:

أولاً: مفهوم الخطاب: الخطاب في اللغة: مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبةً وخطابًا[٣]، والخطاب هو الكلام الذي يُقصد به الإفهام، إفهام من هو أهل للفهم، والكلام الذي لا يقصد به إفهام المستمع، فإنه لا يسمى خطابًا[٤].

والخطاب الديني (الإسلامي) هو الخطاب الذي مستنده الدين، ويقصد به إيصال الأحكام الشرعية للناس، بوساطة النبي ﷺ، لتنظيم علاقتهم بخالقهم وعلاقتهم مع أنفسهم وفيما بينهم، والخطاب الإسلامي متوسط معتدل في أصله، وعامل مؤثر في ترسيخ السلم الاجتماعي.

لذا يمكن تعريف الخطاب الديني الإسلامي بمفهومه الاصطلاحي بأنه **الكلام المستند لمرجعية إسلامية من القرآن والسنة، سواء أكان منتج الخطاب جماعة أم أفرادًا**[٥].

---

(١) شرح صحيح البخاري لابن بطال: ٢٠٧/١، وينظر: فتح الباري: ٢٢٨/١.
(٢) ينظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال: ٢٠٧/١.
(٣) ينظر: لسان العرب: ٣٦٠/١.
(٤) ينظر: الإحكام للآمدي: ٩٥/١.
(٥) ينظر: مفهوم الخطاب الإسلامي: مقال د. السيد محمد مرعي، على موقع الألوكة.

فالخطاب الإسلامي هو الوعاء المعبِّر عن الإسلام في عقيدته وفلسفته الفكرية ونظرته الشمولية للحياة، إذا كان على وفق ضوابطه ومبادئه التي ذكرناها سابقًا.

ثانيًا: سمات الخطاب الإسلامي: إن من أهم سمات الخطاب الإسلامي الربانية في المصدر والمنشأ، فالخطاب الديني يجب أن يكون ربانيًا في مصدره ومنشأه يستمد مبادئه وقيمه من تعاليم الدين الحنيف بمصدريه الرئيسين الكتاب والسنة، وهذا هو مقتضى الرسالة الإلهية التي أنزلت رحمة للعالمين وجاءت لإخراج البشرية من الظلمات إلى النور.

إن الاعتدال من غير إفراط ولا تفريط من سمات الخطاب الإسلامي الأصيل؛ ولذا نجد أن من أهم بواعث الانحراف في الخطاب الديني هو سوء الفهم للنصوص الشرعية، وهو الذي يقود إلى سوء التطبيق حتمًا، والغفلة عن مقاصد التشريع الإسلامي ومرامي الخطاب المعتدل.

ويبقى الخطاب الإسلامي الصحيح هو البعيد عن الانغلاق وفي الوقت نفسه المحافظ على وسطيته واعتداله من غير تفريط في الثوابت الشرعية، ولا إفراط في الانفتاح والتحرر من القيود والضوابط الشرعية، والوقوع في المحظور والمحرمات، أو التحريف في المفاهيم الإسلامية وتعطيل الأحكام الشرعية من خلال التلاعب بمعاني النصوص ودلالاتها أو تتبع الرخص الشرعية وتقديم الآراء المرجوحة على الراجحة.

ثالثًا: العلاقة بين الفهم والخطاب:

إن الفهم قدرة عقلية تتفاوت في قوتها وضعفها بين الناس، فحَسَنُ الفهم للنص الواعي لمقاصده هو الذي يقدر الأمور بقدرها ويضعها في نصابها، ويستعين بالفهم السليم على تطبيق النصوص ويحافظ عليها من التحريف والتأويل الفاسد لدلالاتها، وأما ضعيف الفهم، فهو الذي يتجنى على النصوص ومراد الشارع بالخطاب، ولذلك نصَّ كثير من العلماء على أن من أسس طلب العلم: حسن الفهم والفقه للنصوص الشرعية، قال الخطيب البغدادي: (العلم هو الفهم والدراية، وليس بالإكثار والتوسع في الرواية)[١].

وقال ابن عبد البر (ت٤٦٣) في حكم الإكثار في الرواية من دون الفهم: (والذي عليه جماعة فقهاء المسلمين وعلمائهم ذمُّ الإكثار دون تفقه ولا تدبر)[٢].

إن حسن فهم النص، وحسن التعامل معه هو من باب حماية النص من التحريف والتأويل الفاسد، وهي مهمة العلماء المحققين كما أخبر الرسول ﷺ: (يحمل هذا العلم من كل

(١) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع: ١٧٤/٢.
(٢) جامع بيان العلم وفضله: ١٢٤/٢.

خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين)[١]. وقد قدم هؤلاء العلماء جهودًا علمية كبيرة في خدمة فهم النص وتيسيره على طلبة العلم، بشكل لا نظير له في سائر الأمم، ومن ذلك ما قدمه علماء الحديث رحمهم الله تعالى على سبيل المثال في خدمة الحديث النبوي وفهمه، ومن أبرز هذه الجهود ما يأتي:

١. **علم غريب الحديث**: وهو العلم الذي يشرح الألفاظ الغامضة الواردة في متن الحديث، وهذا العلم لبنة أساسية في حسن فهم السنة النبوية، وقد سئل الإمام أحمد (ت٢٠٤) رحمه الله تعالى عن حرف من الغريب فقال: (سلوا أصحاب الغريب؛ فإني أكره أن أتكلم في قول رسول الله ﷺ بالظن فأخطئ)[٢].

٢. **علم مختلف الحديث**: وهو: العلم الذي يبحث في الأحاديث التي ظاهرها التعارض، فيزيل تعارضها، أو يوفق بينها، كما يبحث في الأحاديث التي يشكل فهمها أو تصورها، فيدفع إشكالها، ويوضح حقيقتها[٣]، ويعرف أيضاً بمشكل الحديث، وهو من أهم العلوم التي وضعت لحسن فهم السنة النبوية.

٣. **علم ناسخ الحديث ومنسوخه**: والنسخ هو: (رفع تعلق حكم شرعي بدليل شرعي متأخر عنه»[٤]. ومعرفة ما وقع فيه النسخ من الحديث النبوي من أهم ما يساعد على حسن فهم السنة النبوية.ومما يذكر أن الإمام علي ﷺ مَرَّ على قاصٍّ فقال: (تعرف الناسخ من المنسوخ؟ قال: لا. قال: هلكت وأهلكت)[٥].

٤. **علم أسباب ورود الحديث**: وهو (ما ورد الحديث متحدثاً عنه أيام وقوعه)، ومنزلة هذا العلم من السنة كمنزلة أسباب النزول من القرآن، (وهو طريق قوي لفهم الحديث؛ لأن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب)[٦].

فكل هذه الوسائل هي غيض من فيض مما قدمه العلماء في القرون السابقة من خدمة السنة النبوية وتيسير وسائل فهم النص النبوي.

---

(١) ينظر تخريج ابن القيم له في: مفتاح دار السعادة: ١٦٣/١.
(٢) شرح نخبة الفكر للقاري: ص٥٠٢.
(٣) ينظر: نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر: ص٩١.
(٤) ينظر: نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر: ص٩٥.
(٥) تدريب الراوي: ٦٤٣/٢.
(٦) منهج النقد في علوم الحديث: ص٣٣٤، وينظر: الوسيط في علوم ومصطلح الحديث: ص٤٦٧.

أثر حسن الفهم في تعزيز السلم المجتمعي:

إن حسن الفهم يقود إلى حسن التعامل مع النص الشرعي وهو ما ينعكس إيجابيًا بالضرورة على حسن الخطاب الإسلامي في اعتداله ووسطيته وشموليته وبالتالي يساعد على المحافظة على السلم المجتمعي وتحصين المجتمع من الغلو والتطرف، ولو أخذنا الحديث النبوي مثلاً للنص الشرعي وكيفية التعامل معه فإن العلماء من الفقهاء والمحدثين ذكروا مبادئ عامة للتعامل مع النص النبوي وتضبط قواعد فهم النص، ومنها ما يأتي[١]:

١. **التوثق من صحة ثبوت النص(الحديث).**

الاستيثاق من صحة النص يكون على وفق القواعد الدقيقة التي وضعها علماء الحديث في قبول الروايات وردها، وهو علم (مصطلح الحديث) لا يوجد له نظير في بقية الأمم، فلا ينبغي التعامل مع أي حديث قبل التوثق من صحة ثبوته في مظان السنة النبوية، فنقبل الصحيح والحسن، ولا نقبل الموضوع أو الضعيف غير القابل للعمل به.

٢. **قراءة النص على وفق دلالات اللغة وفي ضوء سياق حديث الكلام النبوي.**

لا ينبغي لمن أراد فهم كلام النبوة أن يقرأ النص الحديثي بعيدًا عن قواعد لغة الخطاب النبوي ولسان العرب، وأن يكون فهمه في ضمن السياق العام للحديث في الواقعة أو القصة ولاسيما في لغة من أوتي جوامع الكلم وملك ناصية الفصاحة والبيان الإنساني.

٣. **معرفة سبب ورود الحديث النبوي.**

لكل حديث سبب وقصة، فمن يريد حسن فهم الحديث النبوي لابد من معرفته بسبب ورود الحديث والظروف المحيطة بالحديث.

٤. **فهم الحديث في ظلال القرآن الكريم والأحاديث النبوية الصحيحة الأخرى.**

لكي نفهم السنة النبوية فهماً صحيحاً بعيداً عن التحريف والانتحال، وسوء التأويل، لابد من أن نفهمها في ضوء القرآن الكريم مقاصده الكلية، لأنه روح الوجود الإسلامي، وأساس بنيانه، وإنما السنة شارحة له، وهي البيان النظري، والتطبيق العملي للقرآن، وما كان للبيان أن يناقض المبيَّن، ولا الفرع أن يعارض الأصل[٢].

---

(١) ينظر: المدخل لدراسة السنة النبوية: ص٩٤-١٠٠.

(٢) ينظر: المدخل لدراسة السنة النبوية: ١٠٨-١٠٩.

٥. التأكد من سلامة النص من معارض أقوى منه من القرآن أو الحديث.

وهذه قاعدة مهمة في فهم النصوص النبوية بألا يكون هناك تعارض في الدلالة والمعنى بين الحديث النبوي والقرآن الكريم، وكذلك سائر الأحاديث الصحيحة الأخرى فالنبي ﷺ ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ (النجم ٣-٤) فكيف يخالف حديثه القرآن؟!.

٦. جمع الأحاديث الواردة في الموضوع الواحد.

من اللازم لفهم السنة فهمًا صحيحًا أن تجمع الأحاديث الصحيحة فيرد متشابهها على محكمها، ويفسر عامها بخاصها، ويحمل مطلقها على مقيدها، وبذلك يفهم المعنى المراد وتدرك مقاصده، ولا تضرب بعضها ببعض(١).

٧. الجمع أو الترجيح بين مختلف الحديث.

لأن الأصل في النصوص الشرعية ألا تتعارض ولا تتناقض، فإذا افترض وقوع شيء من هذا التعارض في الظاهر لا على الحقيقة فالواجب إزالة هذا التعارض -المتوهم- وهذا يكون إما بالجمع بين النصين، وهو الأولى، أو بالترجيح بينهما على أحد وجوه الترجيح التي ذكرها العلماء وأوصلها قسم منهم إلى أكثر من ستين وجهًا(٢).

هذه المبادئ التي قررها العلماء في التعامل مع النص الشرعي هي بمثابة صمام الأمان بالنسبة للعلماء والدعاة والخطباء في اتباع منهجية علمية واضحة في التعاطي مع الوقائع والأحداث التي تواجههم في المجتمع والحياة اليومية؛ لذا فالواجب عليهم أن ينهضوا لمواجهة خطاب التطرف والغلو وأن يعملوا لاستعادة السلم الاجتماعي وهو السبيل الوحيد لاستقرار الحياة العامة والتقدم والتطور الإيجابي؛ لأن عامل الاستقرار مهم وضروري فلا أمن ولا استقرار إلا بوجود مقومات السلم الاجتماعي القائم على اعتدال الخطاب على مختلف الصعد السياسية والدينية والاجتماعية.

إن الفهم السليم لنصوص الوحيين (القرآن الكريم والسنة النبوية) تمنح المسلم الحصانة من الانحراف والزيغ عن مقاصد الشريعة ومراد خطاب الشارع، فاعتدال الخطاب الديني القائم على الفهم السليم للنصوص الشرعية والاستدلال الصحيح هو أفضل طريقة يمكن أن تعالج جميع الانحرافات التي تعاني منها المجتمعات اليوم سواء كانت هذه الانحرافات عقدية أم فكرية، وهي

(١) ينظر: المدخل لدراسة السنة النبوية: ١٤٠.
(٢) ينظر: المدخل لدراسة السنة النبوية: ١٥٣.

كفيلة بإيجاد شخصية متزنة مطمئنة قادرة على بث روح الاعتدال والتسامح في المجتمع المؤسس للسلم المجتمعي.

وفي المقابل فإن سوء فهم النص وعدم إدراك مقاصده وبالتالي غياب خطاب الاعتدال يؤدي إلى الاضطراب في الشخصية وعدم اتزانها وهو ما يخلق جوًا من التوتر والتعصب داخل المجتمع وبث روح الفرقة والخلاف بين أبنائه، الأمر الذي يهدد السلم والأمن المجتمعي، ويؤدي بالضرورة إلى الضلال والانحراف في الخطاب عن مقاصده ومراميه، قال ابن القيم: (وما أكثر ما ينقل الناس المذاهب الباطلة عن العلماء بالأفهام القاصرة)[١].

(١) مدارج السالكين ٢/٤٠٣.

الخاتمة

يمكن أن نلخص أهم نتائج البحث بما يأتي:

١. عظم منزلة الفهم في العلم وأهميته في التعامل مع النصوص الشرعية لمصدري الوحيين القرآن الكريم والسنة النبوية.

٢. لحسن فهم النصوص الشرعية أثر كبير في اعتدال الخطاب الإسلامي الذي يعد من أهم ركائز السلم المجتمعي.

٣. استعمل النبي ﷺ وسائل عديدة وطرائق مختلفة في تعليم أصحابه رضوان الله عليهم وكانت بمثابة قواعد أساسية لفهم النصوص الشرعية، وقد تطرق البحث إلى إحدى عشرة وسيلة.

٤. إن حسن الفهم يقود إلى حسن التعامل مع النص الشرعي وهو ما ينعكس إيجابيًا بالضرورة على حسن الخطاب الإسلامي في اعتداله ووسطيته وبالتالي يعزز السلم المجتمعي وتحصين المجتمع من الغلو والتطرف.

٥. إن من أهم بواعث الانحراف في الخطاب الديني هو سوء الفهم للنصوص الشرعية، وهو الذي يقود إلى سوء التطبيق حتمًا، والغفلة عن مقاصد التشريع الإسلامي ومرامي الخطاب المعتدل.

التوصيات

١. يوصي الباحث بضرورة حث طلبة العلم الشرعي على الاهتمام بالفهم في العلم والحرص على التفكير العميق، والابتعاد عن السطحية في التعامل مع النصوص الشرعية.

٢. يوصي الباحث المتخصصين بالدراسات الشرعية ولاسيما الباحثين بعلوم الحديث النبوي بالعناية بالدراسات التحليلية ووضع منهجية واضحة للتعامل مع نصوص السنة.

٣. يوصي الباحث الأساتذة والمعلمين بضرورة اتباع الوسائل النبوية التعليمية في الحث على الفهم المؤسسة لخطاب الاعتدال.

المصادر والمراجع

١. الإحكام في أصول الأحكام للآمدي أبو الحسن الآمدي (ت٦٣١هـ): تحقيق: عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان.
٢. إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري: أحمد بن محمد القسطلاني (ت٩٢٣هـ)، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ط٧، ١٣٢٣هـ.
٣. إعلام الموقعين عن رب العالمين: المؤلف: ابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ)، تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن الجوزي، ط١، ١٤٢٣هـ.
٤. تاج العروس من جواهر القاموس: مرتضى الزَّبيدي (ت١٢٠٥هـ)، دار الهداية.
٥. تدريب الراوي تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي: السيوطي (ت٩١١هـ)، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، مكتبة الرياض.
٦. التعريفات للجرجاني (ت٨١٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
٧. جامع بيان العلم وفضله: ابن عبد البر (ت٤٦٣هـ)، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، السعودية، ط١، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.
٨. الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع: الخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ)، تحقيق: د. محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض.
٩. شرح صحيح البخاري لابن بطال (ت٤٤٩هـ)، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، الرياض، ط٢، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.
١٠. شرح نخبة الفكر في مصطلحات أهل الأثر: الملا علي القاري (ت١٠١٤هـ)، تحقيق: الشيخ عبد الفتح أبو غدة، دار الأرقم، بيروت.
١١. صحيح البخاري: (ت٢٥٦هـ)، محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ.
١٢. عمدة القاري شرح صحيح البخاري: بدر الدين العينى (ت٨٥٥هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٣. فتح الباري شرح صحيح البخاري: لابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، تحقيق: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.
١٤. فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري: د. سعيد بن علي القحطاني، مطبوعات وزارة الأوقاف، الرياض، ط١، ١٤٢١هـ.
١٥. الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري: شمس الدين الكرماني (ت٧٨٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.
١٦. الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري: أحمد بن إسماعيل الكوراني (ت٨٩٣ هـ)، تحقيق: الشيخ أحمد عزو عناية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.
١٧. لسان العرب: ابن منظور (ت٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.
١٨. مدارج السالكين لابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ)، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م.
١٩. المدخل لدراسة السنة النبوية: القرضاوي، مكتبة وهبة، ط٥، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.
٢٠. مسند الإمام أحمد بن حنبل: (ت٢٤١هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، ط١، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.
٢١. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة: ابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.
٢٢. مفهوم الخطاب الإسلامي: مقال د. السيد محمد مرعي، على موقع الألوكة.
٢٣. مقاييس اللغة: أحمد بن فارس (ت٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.
٢٤. منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري: حمزة محمد قاسم، مكتبة دار البيان، دمشق، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.
٢٥. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: الإمام النووي (ت٦٧٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ.

٢٦. منهج النقد في علوم الحديث: الدكتور نور الدين عتر، دار الفكر، دمشق، ط٣، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.
٢٧. نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر فِي مُصْطَلَحِ أَهْلِ الأَثَرِ: ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، تحقيق: عبد الله بن ضيف الله الرحيلي (جامعة طيبة بالمدينة المنورة)، ط٢، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.
٢٨. الوسائط التعليمية في الأحاديث النبوية، مقال: سعيد رفعت راجح، موقع الألوكة.
٢٩. الوسيط في علوم ومصطلح الحديث: محمد أبو شُهبة (ت١٤٠٣هـ)، دار الفكر العربي.